IAJ
مجلة المقالات الدولية
INTERNATIONAL ARTICLES JOURNAL

مجلة علمية، شهرية، محكّمة متعددة التخصصات، تُعنى بنشر الدراسات والأبحاث في مجالات العلوم الإنسانية، الاجتماعية، والاقتصادية

العدد الرابع

المدير المسؤول ورئيس التحرير: انس المستقل

Fourth issue

4

العدد الرابع

July 2025 يوليو / تموز

e-ISSN : 3085 - 5039 : الرقم المعياري الدولي

Press number : 1/2025 : رقم الصحافة

مجلة المقالات الدولية

العدد الرابع، يوليو / تموز 2025

e-ISSN : 3085 - 5039

IAJ
مجلة المقالات الدولية
INTERNATIONAL ARTICLES JOURNAL

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد الجديد، تواصل مجلة المقالات الدولية تقديم إسهامات بحثية نوعية، تتسم بالجدية العلمية والتنوع الموضوعاتي، وتستند إلى أسس التحكيم الأكاديمي الصارم والمنهجية البحثية الرصينة.

يتضمن العدد مجموعة من الدراسات المحكمة التي تعالج قضايا راهنة وإشكالات فكرية ومؤسساتية ضمن مجالات القانون، والعلوم السياسية، والعلوم الاجتماعية والإنسانية. وقد جاءت هذه المساهمات نتيجة جهود بحثية معمقة ومقاربات تحليلية تتقاطع فيها الأبعاد النظرية بالتطبيقية، بما يثري النقاش العلمي ويدعم التراكم المعرفي.

إن المجلة، باعتبارها منبرًا مفتوحًا أمام الباحثين من مختلف التخصصات، تسعى إلى ترسيخ ثقافة علمية قائمة على الحوار النقدي والانفتاح المعرفي، وتؤمن بدور النشر الأكاديمي في الدفع بحدود التفكير والمساءلة.

نشكر كل المساهمين في هذا العدد على ما قدموه من أعمال جادة، ونتطلع إلى مزيد من التفاعل المثمر في الأعداد القادمة.

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

ISSN INTERNATIONAL STANDARD SERIAL NUMBER
e-ISSN : 3085 - 5039

INTERNATIONAL Scientific Indexing

مجلة المقالات الدولية

INTERNATIONAL ARTICLES JOURNAL

الرقم المعياري الدولي : ISSN : 3085 - 5039

مجلة المقالات الدولية مجلة متعددة التخصصات
العدد 3 يونيو / حزيران 2025

International Articles Journal A Multidisciplinary Journal
Issue 3 June 2025

اللجان العلمية للمجلة

انس المستقل

المدير المسؤول ورئيس التحرير

الهيئة الإستشارية

د. يونس وحالو
نائب العميد المكلف بالبحث العلمي والتعاون الجامعي كلية العلوم القانونية والسياسية جامعة ابن طفيل بالقنيطرة

د. المختار الطبطبي
نائب العميد المكلف بالشؤون البيداغوجية كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بعين السبع جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

د. رشيد المدور
أستاذ جامعي جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء
عضو المجلس الدستوري سابقا
مدير مجلة دفاتر برلمانية

د. سعيد خمري
أستاذ جامعي جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء
مدير مختبر القانون العام وحقوق الإنسان

د. كمال هشومي
أستاذ جامعي جامعة محمد الخامس بالرباط
المنسق البيداغوجي لماستر الدراسات السياسية والمؤسساتية المعمقة

Dr.Riccardo Pelizzo
نائب العميد المكلف بالشؤون الأكاديمية بجامعة نزارباييف بكازاخستان

د. مهند العيساوي
مستشار رئيس مجلس النواب العراقي لشؤون الصياغة التشريعية
أستاذ القانون العام الدولي في الجامعة العراقية

د. عزالدين العلام
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية المحمدية جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

دة. وفاء الفيلالي
أستاذة جامعية كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة سويسي محمد الخامس بالرباط

د. الدربالي المحجوب
رئيس شعبة القانون بالكلية المتعددة التخصصات الرشيدية

د. المهدي منشيد
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية المحمدية جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

دة. صليحة بوعكاكة
أستاذة جامعية كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

لجنة التقرير والتحكيم

د. طه لحميداني
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة سويسي محمد الخامس بالرباط

د. عبد الحق بلفقيه
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

د. بدر بوخلوف
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة مولاي إسماعيل بمكناس
المدير التنفيذي للمركز الوطني للدراسات القانونية والحقوقية

دة. حكيمة مؤدن
أستاذة جامعية كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية المحمدية جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء
مديرة مجلة إصدارات

د. احمد ميساوي
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية المحمدية جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

د. إبراهيم رضا
أستاذ جامعي كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض بمراكش

د. عبد الغني السرار
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة شعيب الدكالي بالجديدة

د. زكرياء أقنوش
أستاذ جامعي كلية العلوم بالكلية المتعددة التخصصات الرشيدية

د. عبد الغني العماري
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة شعيب الدكالي بالجديدة

د. أحمد أعراب
أستاذ جامعي كلية العلوم بالكلية المتعددة التخصصات بالناضور

د. إبراهيم أيت وركان
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة شعيب الدكالي بالجديدة

د. محمد املاح
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة شعيب الدكالي بالجديدة

د. رضوان طريبق
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة مولاي إسماعيل بمكناس

د. عبد الحي الغربة
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية المحمدية جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

د. خالد الحمدوني
أستاذ جامعي كلية العلوم بالكلية المتعددة التخصصات الرشيدية

د. هشام المراكشي
أستاذ جامعي كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة شعيب الدكالي بالجديدة

محتويات العدد

القضاء الدستوري ودوره في ضبط المنظومة القانونية لدستور 2011 طارق القدري	3-18
القضاء الدستوري، مقاربة جديدة لمبدأ فصل السلط جواد الحبشي	19-38
ضمانات الحقوق السياسية بين المحددات الدستورية وآلية الرقابة السياسية على دستورية القوانين رشيد حمراوي	35-58
المسؤولية السياسية للسلطة التنفيذية في المغرب: بين الوثيقة الدستورية لسنة 2011 والممارسة السياسية عبد العزيز الهلالي	64-80
الهوية الجماعية وديناميات المشاركة في الاحتجاجات: دراسة سوسيولوجية للأساتذة المتعاقدين بجهة مراكش آسفي محمد خيدون	81-96
مساطر البحث عن المخالفات في ضوء القانون رقم 08-31 بتحديد تدابير لحماية المستهلك رضوان البقالي	97-112
الواقعة الكارثية بالمغرب وسؤال التأمين (واقعة الحوز نموذجا) دراسة في ضوء أحكام القانون 110.14 حسين تبلي	113-128

129-142	**الحقوق الثقافية واللغوية في المغرب: من الحوار الوطني إلى دسترة الحق الثقافي في دستور 2011** سهام جوهري
143-154	**أثر علماء الغرب الإسلامي على اللسان العربي مركزية علمَي النحو والقراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت 745 هـ) نموذجا** هشام ميري
159-174	**Parliamentary Committees of Inquiry in the Moroccan Constitutional System: Effectiveness and Limitations** El Hassan ACHABAR - Elhoucine BOUALILI
179-200	**La réparation des erreurs judiciaires dans le cadre de la procédure pénale : étude comparée du droit marocain et du droit international** Abderrachid CHAKRI- Abdelhak JALAL
207-214	**La réalisation de l'équilibre au sein du contrat de consommation par l'interdiction des clauses abusives** Najlaa SABBABE
215-228	**Les Sociétés Régionales Multi-Services : Une efficacité institutionnelle au service du citoyen** Mohamed Ali DILAOUI

International Articles Journal
A peer-reviewed, multidisciplinary journal
Fourth Issue 4 July 2025

مجلة المقالات الدولية
مجلة محكمة، متعددة التخصصات
العدد 4 يوليو/ تموز 2025

أثر علماء الغرب الإسلامي على اللسان العربي
مركزية علمَي النحو والقراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت 745 هـ) نموذجا

The influence of Western Islamic scholars on the Arabic language
The centrality of grammar and readings in the interpretation of Al-Bahr Al-Muhit by Abu Hayyan Al-Andalusi (d. 745 AH) as a model

هشام ميري
أستاذ زائر بالمدرسة العليا للتربية والتكوين
جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال

Hicham Miri
Visiting Professor at the ESEF
Sultan Moulay Slimane University, Beni Mellal

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة أثر علماء الغرب الإسلامي في خدمة اللسان العربي، من خلال إبراز مركزية علمي النحو والقراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ). اعتمد البحث على تحليل منهج أبي حيان في توظيف هذين العلمين لفهم النص القرآني، باعتبارهما أداتين أساسيتين لتفسير المعاني واستجلاء الدلالات. أظهر أبو حيان براعة فائقة في استحضار القواعد النحوية وتوجيه القراءات، مما مكّنه من بناء تفسير متكامل يجمع بين الأصالة العلمية والعمق التحليلي. كما قورنت منهجيته بمناهج مفسرين مشارقة كزمخشري، فتبين تميز المدرسة الأندلسية برسم معالم منهج واضح، والالتزام بالمأثور، مع توظيف علمي للغة والقراءات لخدمة كتاب الله.

الكلمات المفتاحية:

أبو حيان الأندلسي؛ البحر المحيط؛ التفسير القرآني؛ التحليل اللغوي؛ منهج التفسير.

Abstract:

This study examines the influence of Western Islamic scholars on the Arabic language by highlighting the centrality of grammar (nahw) and Qur'anic readings (qirāʾāt) in Abū Ḥayyān al-Andalusī's exegesis al-Baḥr al-Muḥīṭ (d. 745 AH). The research analyzes how Abū Ḥayyān utilized these two sciences to interpret the Qur'anic text, as essential tools for understanding meanings and deriving rulings. His mastery of syntax and variant readings allowed him to craft a comprehensive, methodologically sound tafsīr. A comparative perspective with Eastern exegetes such as al-Zamakhsharī reveals the distinctiveness of the Andalusian approach: clear methodological frameworks, adherence to transmitted reports, and a rigorous linguistic foundation.

Keywords:

Abū Ḥayyān al-Andalusī; al-Baḥr al-Muḥīṭ; Qur'anic exegesis; linguistic analysis; tafsīr methodology.

مقدمة:

من العوامل التي تعمل على تقوية أمة من الأمم وزرع روح الانتماء في أبناء الأمة الواحدة، اللغة باعتبارها أهم هذه العوامل؛ ولا يخفى على أي باحث مشتغل في تحقيق ودراسة التراث العربي دور القرآن الكريم كعنصر أساسي في الحفاظ على اللغة العربية، وبث روح الحيوية فيها، بعيدا عما قد تتعرض من اللحن؛ حتى بات العلم أشرف مقامات العبودية، خاصة إذا كان متعلِّقاً بكتاب الله تعالى وسنة نبيِّه - صلَّى الله عليه وسلم - فتحقيقُ العبودية لله ربِّ العالمين، غاية الإنسان في هذه الدنيا التي عليها مناط التكليف، وعليها تدور رحى الرسالات السماوية كلها، وعلم التفسير من أجَلِّ العلوم وأنفعها وأشرفها لتعلقه بكلام المنَّان الرحمن؛ ولما كان الأمر كذلك، انْبَرى علماء الإسلام في شتى الأقطار وعلى مرِّ العصور لتدارس كلام ربِّ العالمين فأَفْنوا أَعمارهم، ونذروا حياتهم خدمة للكتاب المبين، فاستخرجوا دُرَرَه، واقتنصوا شوارده، ونهلوا من معينه، وارتشفوا من جنانه العذبة، فتركوا لنا تراثًا نافعًا من التفاسير العظيمة التي لا غنى لأيّ طالب علم عنها، وكان من بين هؤلاء العلماء الأفذاذ الإمام محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) صاحب التفسير المشهور: (تفسير البحر المحيط)، الذي يعتبر من أجلِّ كتب التفسير وأرفعها وأنفعها، وقد نال إعجاب العلماء وتفضيل الفضلاء، وذلك لما فيه من الآراء الجليلة في علوم كثيرة كالنحو واللغة والفقه والبلاغة والصرف والقراءات؛ وقد قال فيه ابن الوكيل:

قَالُوا أَبُو حَيَّانَ غَيْرُ مُدَافِعٍ * مَلِكُ النُّحَاةِ فَقُلْتُ بِالْإِجْمَاعِ (1).**

وهذا ليس كثيرًا على عالمٍ كأبي حيَّان، الذي ذاع صيته في علمَي النحو والقراءات، وفهم علوم اللغة وأحسن توظيفها لتفسير القرآن الكريم، وفتح أبواب التأويل، لأنه لم يتحيَّز لأي مذهب، وخدم كتاب الله لسنوات طويلة من عمره.

مركزية علمَي النحو والقراءات في تفسير أبي حيان:

يُعدّ علمَا النحو والقراءات من أعمدة العلوم السبعة التي أعدَّها أبو حيان، ولابدَّ أن تتوفَّر في المفسِّر، وهي: النحو، البلاغة، العلم بالحديث، الفقه، علم الكلام والقراءات؛ فالعلم بالوجوه السبعة أمر لا بدَّ منه لمن يتعاطى التفسير؛ فقواعد النحو لها أهمية بالغة في تفسير النص القرآني، لكونها تشكل طريقًا إلى تفسير النصوص وفهم معاني الآيات واستنباط أحكامها، ولما كان النص القرآني بسمو عباراته وعمق معانيه وترابط ألفاظه، قد فتح آفاق المعنى، ما جعل علماؤنا يتعلقون بدراسة النحو العربي، وتكون تأويلاتهم وآراؤهم حجة في التحليل والاستنتاج والاستقصاء. أما علم القراءات فهو القوة الضاربة التي سخرَّها أبو حيان في تفسيره لتمكنه وتضلعه فيها، لأن القراءات من الأركان التي يقوم عليها تفسير كتاب الله عزَّ وجلَّ لإظهار معانيه العظيمة، وما يشتمل عليه

[1]- أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: عمرو محمد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م، ص 206.

من دقيق الألفاظ وتناسبها. فالجاهل بالعِلمَيْن مفتقر كل الافتقار لإدراك لطائف القرآن الكريم ونكته وأسراره، غير بالغ وجوه إعجازه ومراده.

ولا يخفى على مُتبَصِّر مكانة أبي حيان العلمية بين العلماء، فهو من العلماء الأجلَّاء الذين وضعوا منهجهم في مقدمة البحر المحيط، والمتتبع لخطاب المقدمة يستنبط خارطة طريق واضحة تجلي منهج أبي حيان في التفسير، فقبل خوض أبي حيان في بيان معنى الآيات، وضع تعريفًا للتفسير في اللغة وفي الاصطلاح، وقد شرح التفسير لغة هو: "الاستبانة والكشف، قال ابن دريد: يقال للماء تفسرة [...] ويطلق أيضا التفسير على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسَّرت الفرس عرَّيته [...] وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجرى"[2]. من خلال هذا الاستهلال يكون أبو حيان قد سطَّر منهجا سالكًا يتَّبِعُه المفسِّر، ودليلا واضحا يهتدي به لارتياد عوالم النص القرآني، واستند على أهل اللغة كابن دريد وثعلب، "ليكون معنى التفسير هو الاستبانة ثم البيان، أما الكشف فراجع لتعرية المعنى مما يلُفُه لبلوغ اللباب، والغوص فيه بعد هتك الحجاب"[3]. فبعد اللغة يأتي الاصطلاح، أي إن التفسير الذي يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن، وعن الدلالات والأحكام الإفرادية والتركيبية، فالتفسير "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك"[4]؛ إذن يتَّسع التفسير ليشمل المنطلقات النصية والمرفقات الموازية، ومرجعه الأساس علم القراءات القرآنية، والقراءات من الأدوات البانية للمعنى في البحر المحيط لتوفق أبي حيان فيها، "فتلك واحدة من العلوم التي توهج فيها نجم أبي حيان، وتبرز، إلى أبعد مدى، قوته في الحفظ والتدقيق"[5]. فقد تحدَّث أبو حيان عن ما يحتاجه المُفَسِّر من العلوم والأدوات لتقريب المعنى وتيسير المهمات، خاصة في معرض مقارنته بين مناهج المفسِّرين في العصور المتقدِّمة له والمتأخِّرة عنه؛ وأمَّا المتقدمون الذين نهلوا الفصاحة من أصولها قبل أن يداخلها العجم، من غير ملقن يلقنهم، ولا معلم يعلمهم، "فسلمت بذلك فطرهم من أوضار الدخلاء، ونجت ألسنتهم من خبال السخفاء. أولئك لم يلتفتوا إلا لما كان بالنص القرآني أوثق، وبعلومه ألصق، فقدموا ما اعتبر مع المتأخرين (متممات) وهي في الحقيقة (موجهات) إن لم نقل (ملهمات)"[6].

يقول أبو حيان مقارنًا بين المتقدمين من أهل التفسير والمتأخرين منهم: "ثم تتابع الناس في التفسير وألَّفُوا فيه، وكانت تآليف المتقدمين أكثرها إنما هي شرح لغة، ونقل سبب، ونسخ، وقصص، لأنهم كانوا قريبي عهد بالعرب، فلما فسد اللسان وكثرت العجم، ودخل في دين الإسلام أنواع الأمم المختلفو الألسنة، والناقصو الإدراك احتاج المتأخرون إلى إظهار ما انطوى عليه كتاب الله تعالى من غرائب التركيب"[7]؛ فتركَّزت مؤلفات المتقدمين على شرح اللغة والنسخ، غير مبالين بغرائب التركيب، بخلاف المتأخرين من أهل التفسير الذين انصب همهم بالدرجة

---

[2]- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معرض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م، ج 1، ص 13.

[3]- الخطاب المقدماتي في البحر المحيط، تأسيس لآليات تحليل الخطاب القرآني، محاضرة تفضل بإلقائها فضيلة الدكتور سليماني مولاي علي - بجامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال - 19 أبريل، 1439هـ - 2018م، ص 2.

[4]- نفسه.

[5]- الخطاب المقدماتي في البحر المحيط، ص 2.

[6]- نفسه، ص 3.

[7]- البحر المحيط، ج 1، ص 120.

الأولى على تفكيك ما صعب من معاني وغريب تراكيب الكتاب العزيز، حتى بسطوا معاني القرآن للأمم غير العربية التي اعتنقت الإسلام، فصار في طبعهم وحياتهم الجديدة.

وبيانًا لمركزية علمَي النحو والقراءات في تفسير أبي حيان، عقدنا مقارنة من حيث المناهج والموضوعات بين منهج أبي حيان كعالم من علماء الأندلس، والزمخشري كعالم من علماء المشرق، فوجدنا بَوْنًا بينهما في المناهج، مع بعض التقارب في المواضيع:

- من حيث المناهج: لا نعثر على مُفَسِّر مشرقي - بما فيهم الزمخشري - رسم لنفسه منهجًا واضحًا يَسِيرُ عليه في تفسيره، اللهم إذا استثنينا النيسابوري في تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) الذي رسم خارطة طريق لتفسيره، "فقد أوضح في مقدمة تفسيره معالم منهجه وخطوط سيره في التفسير كما بيَّن مقصِدَه وغايته المرجوَّةَ من ذلك"[8]؛ بخلاف النحاة الأندلسيين، بدءاً بابن العربي إلى أبي حيان، جميعهم حدَّدوا منهجهم في التفسير، وبيَّنوا الموضوعات التي ستكون لها سبق الاهتمام والعناية، دون إغفالهم المقاصد التي توخوها من تأليف تفاسيرهم بكل دِقَّة وعناية، وهي شَارَةُ تميُّز المفسِّرين الأندلسيين عن غيرهم من المشارقة.

- من حيث الموضوعات: لابدَّ أن تتم المقارنة بين النحاة المشرقيين ونحاة الغرب الإسلامي بناء على مواضيع التفسير باللغة وبالمأثور وبالقراءات، لكن آثرنا الاختصار على الشيخَيْن الجليلَيْن أبي حيان والزمخشري.

أ- التفسير بالمأثور:

قال الزمخشري وهو يُفَسِّر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقوا اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾([9]): "﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: واجب تقواه وما يحقّ منها، وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اْستَطَعْتُمْ﴾[10]، يريد بالغوا في التقوى [...] والتقاة، من اتَّقَى، كالتؤدة من اتأد"[11]؛ أهم ما يُثَار من قول الزمخشري أنه أهمل المأثور كليا، فماذا عن أبي حيان؟ هل سيسلك منحى الزمخشري أم سيهتم بالمأثور؟

قال أبو حيان: "﴿اتَّقوا الله حقَّ تُقَاتِهِ﴾ لما حذَّرَهم الله تعالى من إضلال من يريد إضلالهم أمرهم بمجامع الطاعات فرهبهم أوَّلا بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ إذ التقوى إشارة التخويف من عذاب الله، ثم جعلها سببا للأمر بالاعتصام بدين الله، ثم أردف الرهبة بالرغبة وهي قوله: ﴿وَاذْكرُوا نِعْمَةَ اَللهِ عَلَيْكُم﴾ وأعقب الأمر بالتقوى والأمر بالاعتصام بنهي آخر وهو من تمام الاعتصام. قال ابن مسعود والربيع وقتادة والحس: "﴿حقَّ تُقَاتِهِ﴾ أن يطاع الله فلا يُعْصَى [...] وقال ابن عباس: المعنى جاهدوا في الله حقّ جهاده"[12]. إذا أهمل الزمخشري التفسير

[8]- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق: إبراهيم عطوه عوف، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1381هـ - 1962م، ج 1، ص- ص 8 - 9.

[9]- سورة آل عمران، الآية 102.

[10]- سورة التغابن، الآية 16.

[11]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1430هـ - 2009م، ج 1، ص 450.

[12]- البحر المحيط، ج 3، ص - ص 16 - 17.

بالمأثور، فأبو حيان اتَّبع سنن مَنْ سبقه مِنَ المفسِّرين الأندلسيين، فيذكر أقوال الصحابة والتابعين، فذكر ابن مسعود والربيع وقتادة والحس، قبل أن يختم بقول ابن عباس - رضي الله عنهم جميعًا - وهي أقوال ساقها أبو حيان مجرَّدة من أسانيدها.

الواضح من المقارنة على مستوى التفسير بالمنثور أن الزمخشري اكتفى بشرح الآية من جانبَيْ اللغة والشرع، دون الاستناد إلى كلام السلف، بخلاف أبي حيان الذي شرح الآية استنادًا إلى رواة كابن مسعود وابن عباس وغيرهما، ما أعطى التفوق لأبي حيان على الزمخشري في الموضوع الأول: التفسير بالمأثور.

ب- القراءات:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾[13].

إن توجيه القراءات وارد في الكشَّاف، قال الزمخشري: "وقرىء ﴿لَمَا آتَيْتُكُم﴾ وقرأ حمزة ﴿لِمَا آتَيْتُكُم﴾ بكسر اللام، ومعناه: لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة، ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنُّن بِه، على أنَّ ما مصدرية والفعلان معها اعني (آتيتكم وجاءكم) في معنى المصدرين، واللام داخلة للتعليل على معنى: أخذ الله ميثاقهم لتؤمننَّ بالرسول ولتنصرنَّه لأجل أنيّ آتيتكم الحكمة [...] وقرأ سعيد بن جبير بالتشديد بمعنى: حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته"[14]. والمتأمل لقول الزمخشري يتبين أنه لم يبين نوع القراءة، هل قرأ بها السبعة أم لم يقرأ بها؟ وعدم التوضيح قد يورث الإبهام، وبالمقابل كان ينسب القراءة لقارئها؛ هذا تفسير بالقراءات عند الزمخشري، فماذا عن التفسير بالقراءات عند أبي حيان؟ وهل تفوَّق أبو حيان على الزمخشري في التفسير بالقراءات؟

قال أبو حيان: "وقرأ جمهور السبعة (لَمَا) بفتح اللام وتخفيف الميم، وقرأ حمزة (لِمَا) بكسراللام، وقرأ سعيد بن جبير والحسن (لَمَّا) بتشديد الميم [...] فأما توجيه قراءة الجمهور ففيه أربعة أقوال: القول الأوَّل: أنَّ مَا شرطية منصوبة على المفعول بالفعل بعدها واللام قبلها موطِّئة لمجيء ما بعدها جوابا للقسم، وهو أخذ الله الميثاق، و (من) في قوله: ﴿مِّن كِتَابٍ﴾ كهي في قوله ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ والفعل بعد (ما) ماضي معناه الاستقبال لتقدم ما الشرطية عليه"[15]؛ وبدأ بعرض الأقوال الأربعة،علمًا أنَّنَا اكتفينا بقول واحد من الأربعة نقرِّب به مقارنتها، وختم كلامه قائلا: "وأمَّا توجيه قراءة حمزة: ف (اللام) هي لِلتعليل، و(ما) موصولة (بآتيناكم) والعائد محذوف، و(ثم جاءكم) معطوف على الصلة والرابط لها بالموصول، إمَّا إضمار به على ما نُسِبَ إلى سيبويه، وإمَّا هذا الظاهر الذي هو (لما معكم) لأنَّه في المعنى هو الموصول على مذهب أبي الحسن"[16].

[13]- سورة آل عمران، الآية 80.
[14]- الكشاف، ج 1، ص 441.
[15]- البحر المحيط، ج 2، ص 509
[16]- نفسه، ص - ص 509 - 510.

فأبو حيان يردُّ على الزمخشري في توجيهه لقراءة حمزة، وبعد أن ينتهي من الردِّ عليه يُوَجِّه قراءة سعيد بن جبير والحسن(لما) بتشديد الميم. والتناغم وارد عند أبي حيان لأنه سلك نفس المسلك في توجيه قراءة الجمهور، فهو ينسب القراءات لقرَّائها، ويبيّن أنواع القراءات فيردُّ الضعيف منها ويختار المناحي القوية، سبيله في ذلك إفتاءات أئمة النحو؛ ونتائج المقارنة تعطي التميُّز لأبي حيان على صاحب الكشَّاف في عرض ومناقشة آراء العلماء وتوجيه القراءات، واختيار الوجوه القوية وترك الضعيفة، وهو أمر غاب عن الزمخشري.

ج- اللغة:

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدى مِنْ رَبِّهِم وَأُولَئِكَ هُم الْمُفْلِحون﴾[17].

فسَّر الزمخشري هذه ﴿وَأُولَئِكَ هُم الْمُفْلِحون﴾ من جهة اللغة من معناها الإجمالي ثم عرض لظاهرتَيْ التقديم والتأخير، والتنكير والتعريف، ليكشف فصاحة وبلاغة الآية وما تبطنه من جمال وحسن؛ قال الزمخشري: "الدلالة على أن المتّقَين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة، كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو؟ فقيل: زيدٌ التائبُ، أي هو الذي أخبرت بتوبته، أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم، وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة، كما تقول لصاحبك: هل عرفت الأسد وما جُبِلَ عَليه من فرط الإقدام؟ إن زَيدًا هو هو، فانظر كيف كرَّر الله عزَّ وجلَّ التنبيه على اختصاص المتَّقِين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي: اسم الإشارة، وتعريف المفلحين، وتوسيط الفعل بينه وبين أولئك لِيُبْصِرَك مراتبهم"[18]؛ كلام الزمخشري يغلب عليه التفسير البلاغي، فهو يستعين بالمشبَّه والمشبَّه به، ليبرز مرتبة المفلحين، فقد قدَّمهم باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ تشريفًا وتعظيمًا لمقامهم عند ربِّ العالمين، كذلك تلمس هذا الحسّ البلاغي في تقرُّبه للألفاظ وشرحها، عندما يُميّز بين لفظتَيْ المفلح (بالحاء) والمفلج (بالجيم)، يقول: "والمفلح: الفائز بالبغية، كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه، والمفلج بالجيم مثله، ومنه قولهم للمطلقة: استفلجي بأمرك، والتركيب دال على معنى الشق والفتح، وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فَلَقَ"[19].

بعد تفسير الزمخشري، نسوق ما رمى إليه أبو حيان في ﴿وَأُولَئِكَ هُم الْمُفْلِحون﴾، قال: "والألف واللام في ﴿الْمُفْلِحون﴾ لتعريف العهد في الخارج أو في الذِّهن، وذلك أنَّكَ إذا قلت: زيد المنطلق، فالمخاطب يعرف وجود ذات صدر منها انطلاق، ويعرف زيدًا ويجهل نسبة الانطلاق إليه، وأنت تعرف كل ذلك فتقول له: زيد المنطلق، فتقيده معرفة النسبة التي كان يجهلها، ودخلت هو فيه إذا قلت: زيد هو المنطلق لتأكيد النسبة، وإنَّمَا تؤكد النسبة عند توهم أنَّ المخاطب يشك فيها أو ينازع أو يتوهَّم الشركة. المفلحون أي الباقون في نعيم الآخرة"[20]؛ عند تحليل كلام

[17]- سورة البقرة، الآية 4.
[18]- الكشاف، الزمخشري، ج 1، ص 146.
[19]- الكشاف، الزمخشري، ج 1، ص 146.
[20]- البحر المحيط، ج 1، ص 44.

أبي حيان تظهر بوادر الاهتمام باللفظ وما حوى من جمال وبيان، قبل أن يمر للمرحلة الموالية وهي بيان المعنى الإجمالي: المفلحون = الباقون في نعيم الآخرة.

كشفت خلاصة المقارنة أوجه التقارب والتباعد بين أبي حيان والزمخشري، ونذكر أهم نقط الاختلاف، وتميَّز أبي حيان:

- من حيث التقارب، فقد اتَّفَقَا على المعنى الإجمالي.
- من حيث الفصاحة والبيان القرآني، فقد انفرد الزمخشري.
- استشهاد أبي حيان بالشعر لبيان معاني الألفاظ في مواضع كثيرة، وإن كان لم يستشهد به هنا - من خلال الأمثلة التي أدرجنا -.
- تركيب الزمخشري أمثلة من وحي ذهنه، عندما كان يريد توضيح مقصده في بيان المعاني.
- إهمال الزمخشري التفسير بالمأثور، والاقتصار على التفسير اللغوي والشرعي.
- اتِّباع أبي حيان سنن من قبله من المفسِّرين الأندلسيين، فيذكر أقوال الصحابة والتابعين، ويُقوّي من التفسير بالمأثور.
- لم يبيّن الزمخشري نوع القراءة، هل قرأ بها السبعة أم لم يقرأ بها؟ وهذا يورث الإبهام.
- نسب أبو حيان القراءات لقرَّائها وبَيَّنَ أنواع القراءات، فردَّ الضعيف منها واختار المناحي القوية، سبيله في ذلك إفتاءات أئمة النحو.

بعد هذه المقارنة، التي منحت التميُّز لأبي حيان، نعرض لأهم الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المُفَسِّر، وقد أَعَدَّ أبو حيان سبعة وجوه، لابدَّ أن تتوفَّر في المفسِّر، وهي: النحو، البلاغة، العلم بالحديث، الفقه، علم الكلام والقراءات؛ فالعلم بالوجوه السبعة أمرٌ لا بدّ منه لمن يتعاطى التفسير، و"الاقتصار على بعضها فقط لن يؤدي إلَّا إلى مكرور من قول المتقدمين، أما إدراك لطائف الكتاب العزيز، في نظر أبي حيان، فلابد لمن تعاطاه أن يتنفس هواءه ويتشرب ماءه حتى تنتقش لغته في قلبه فيدرك ما في القرآن من أسرار وأنوار، و يبرز المعارف الربانية بما أدرج بين جنبيه من علوم القرآن، طبعا لا اكتسابا، ووجدانا لا تقليدا"[21]، لأنّه "توغل في أساليب الفصاحة وأفانينها، وتوقل في معارف الأدب وقوانينها"[22]. فلغة العرب لا تعرف بالطبع وحده، بل لا بد من ملازمة العلماء

[21]- الخطاب المقدماتي في البحر المحيط، ص 4.
[22]- البحر المحيط، ص 109.

ومصاحبة الكتب حتى يصبح المفسر ممتلكا الآليات العلمية التي تمكِّنه من أن يصبح من أهله وخاصته. "فشتان بين من رضع الفصاحة طبعًا وسلك مسلكها من الزمن ردحًا، وتدبر القرآن حبًّا لإبراز معارفه الربانية، وبين من عرف العربية ولم يخرج من طوق شعرائها، ولا حظ له من القرآن، إذ لم يفئ إلى ظله الوارف، ولم ينعم بجماله الجارف"[23]؛ يقول ابن قتيبة: "يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في أساليبها، وما خص الله به لغتها"[24]؛ كلام ابن قتيبة فيه دعوة إلى:

- كثرة التدبر في كتاب الله؛
- فهم مذاهب العرب؛
- البحث في أساليب القرآن بالاستعانة بالنحو وغيره من علوم اللغة الأخرى.

فالمطلوب في عالم النحو الإحاطة بعلم البلاغة والفصاحة، كما لابدّ لعالم البلاغة أن يتصرَّف في النحو، وذلك أدعى للتكامل والتعاضد بين العِلْمَيْن؛ يقول أبو حيان: "إن علم التفسير ليس متوقفًا على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس، بل أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة، ولذلك قلّت تصانيفهم في علم التفسير، وقلّ أن ترى نحويًا بارعًا في النظم والنثر، كما قلَّ أن ترى بارعًا في الفصاحة يتوغل في علم النحو، وقد رأينا من ينسب للإمامة في علم النحو وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب، فضلا عن أن يعرف مدلولها، أو يتكلَّم على ما انطوت عليه من البلاغة والبيان، فأنَّى لمثل هذا أن يتعاطى علم التفسير؟"[25].

إن استخراج أسرار القرآن رهين بالتمكن من علوم الآلة جميعها، وإن كان الجاحظ قد حصرها في علمَيْ البيان والمعاني، فَبِهِمَا - كما قال - تُستخرَج اللطائف من كتاب الله عزَّ وجلَّ، يقول: "فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوي والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في عِلْمَيْن مختصَّيْن بالقرآن، وهما المعاني وعلم البيان"[26].

ولبلوغ درجة عالية في تفسير القرآن لابد من الإحاطة بعلوم اللسان، لأن اكتساب العلوم المذكورة وحده غير كاف لبلوغ درجة الاستحسان، بل لابدَّ أن يكون العلم باللسان لمن تعاطى التفسير معضودًا بالاقتدار على

[23]- الخطاب المقدماتي في البحر المحيط، ص 5.
[24]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973م، ص 12.
[25]- البحر المحيط، ص 111.
[26]- الكشاف، الزمخشري، ص 23.

إنشاء المنثور والموزون من غير تكلُّفٍ ولا تصنُّعٍ، قال أبو حيان: "قد جبل طبعه على إنشاء النثر والنظم دون اكتساب"[27].

أما من توقف عنده القول، وَضَيَّع القوافي، فتاهَ في بحرها كما يتيه البحَّار في عمق المحيطات بلا لوازم الإرشاد، "فإنه بمعزل عن فهم غوامض الكتاب، وعن إدراك لطائف ما تضمنه من العجب العجاب، وحظه من علم التفسير إنما هو نقل أسطار، وتكرار محفوظ على مرّ الأعصار"[28].

لابد إذن من شروط في المفسِّر لبلوغ الأرب من تفسير كلام الله العزيز:

- الحفظ والضبط.
- التحقيق والتدقيق.

وبقوة التفكُّر تستدعى المعاني ويتيسر التحليل ويتحقق البيان عن بعض مراد الله سبحانه. وقوَّة أبي حيان في حفظه، وتدقيقه وضبطه للمتون والأسانيد ما جعل منه إمام عصره دون منازع، ولنا فيما رواه عن نفسه في إسناد قراءتي القرآن خير دليل، حيث عزّ أن يجتمع ذلك السند الأعلى الذي اجتمع له، لغيره من المفسرين، "فأبو حيان دائما يذكر الآثار الثابتة عن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أيضا محشود بنقل الأجلاء من الصحابة رضي الله عنهم والثقات من التابعين"[29]. كما أن أبا حيان لا يغفل جهود الأئمة، إذ ينقل "أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني"[30].

فالمعجم فَيْضٌ من المعادلات الذي يحقِّق للمفسِّر الإمساك بمعنى اللفظة، إلا أنه عندما يربطها بالسياق الذي اختيرت له ووضعت فيه تبرز ملكة المفسِّر، فلا يحتفظ المفسِّر إلا بأشدِّها قربًا بالمعنى، وهو ما أكَّدَهُ أبو حيان بقوله: "من أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى حسن تركيبها وقبحه، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مفهم ولا معلم، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه، فلذلك اختلفت أفهامهم، وتباينت أقولهم"[31]؛ أي اختلاف الفهوم من شخص إلى آخر بحسب إدراك التراكيب الجيدة والرديئة، لأن اللغة هي عصب التفسير وأساسه، يقول محمد جمال الدين: "بل الواجب أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله، لا بما حدث بعد ذلك"[32].

---

[27]- البحر المحيط، ج 1، ص 109.
[28]- نفسه.
[29]- البحر المحيط، مقدمة المحقق، ج 1، ص 60.
[30]- نفسه.
[31]- البحر المحيط، ج 1، ص 104
[32]- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1978م، ج 1، ص 236.

ولعل قُوَّة أبي حيان تتجلَّى في اجتهاده وإعمال عقله، وقدرته الفائقة على الترجيح القائم على الحجة والدليل، حتى إنه اشتهر بقولته المشهورة التي رسم فيها علاقته بالمذاهب النحوية "ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم من حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون، إنما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية"[33].

إمعان النظر في كلام أبي حيان، يجعلك تدرك اجتهاد الرجل وتبحره في النهل من العلوم شرقا وغربا، جعلت تلميذه الصفدي ينظم قصيدة طويلة يبرز فيها مكانة أبي حيان، كعالم لا يماثله إلا إمام النحو الأول سيبويه:

هَذِي الْعُلُومُ بَدَتْ مِنْ سِيبَوَيْه كَمَا *** قَالُوا وَفِيكَ انْتَهَتْ يَا ثَانِي اثْنَيْنِ([34]).

[33]- البحر المحيط، ج 1، ص 62.
[34]- الوافي بالوفيات، الصفدي، ج 5، ص 207.

خلاصات:

تبيَّن لنا البروز العلمي الوازن لأبي حيان وتوهجه، وقوته في الحفظ والتدقيق، وكيف لا يصل لهذا القدر الأَجَلِّ نقدًا وترجيحًا، وهو القائل: "وما زلت من لدن ميزت أتلمذ للعلماء، وأنحاز للفهماء، وأرغب في مجالسهم، وأنافس في نفائسهم، وأسلك طريقهم، وأتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام، ولا أتوقل إلا ذروة علام، فكم صدر أودعت علمه صدري، وحَبر أفنيت في فوائده حِبري، وإمام أكثرت به الإلمام، وعلام أطلت معه الاستعلام"[35]. فهذا دليل اتِّساع صدره للاختلاف، وترجيح ما يقبل به العقل، فما وافقه كان مقبولًا، وما خالفه كان مردودًا؛ هكذا إذن يكون أبو حيان قد رسم لنفسه مسار المجدِّدين لا المقلِّدين، دافعه في ذلك تحكيم العقل، ولم يصل لهذا التمكُّن لولا حُبِّه للعربية وطول المراجعات وكثرة المطالعات ومجالسة العلماء.

خلصنا كذلك إلى آليات اشتغال المفسر الناقد، وما ينبغي أن يتسلَّح به من علوم لتزداد كفايته اللغوية والنحوية، والاطلاع على القراءات المتواترة والشادة، حتى لا يفتي بجهله في الأحكام الشرعية ، وينتقد دون بيان وتعليل.

توصلنا كذلك إلى مسألة مهمَّة ترتبط بأبي حيان نفسِهِ، فهو العالم الذي تمكَّن من علمَي النحو والقراءات، وصار مرجعًا فيهما؛ وتفرد أبي حيان عن غالبية العلماء بتمكنه من علم القراءات الذي عبَّد له كل المسالك، فصارت الطرق لاحبة لسبر أغوار معاني القرآن الكريم من موقع العالم العارف بقواعد النحو وتنوع القراءات؛ فكانت المدرسة الأندلسية متميزة منهجًا وموضوعًا، حيث تسلحت بزاد اللغة والنحو والقراءات لكشف أسرار النصوص الشرعية.

[35]- البحر المحيط، ج 1، ص 101.

لائحة المراجع:

- الزمخشري، أ. ق. م. ب. ع. (2009). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (خليل مأمون شيحا، تحقيق). دار المعرفة. (الطبعة الثالثة).

- الصفدي، ص. ا. خ. ب. أ. (2000). الوافي بالوفيات (أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، تحقيق). دار إحياء التراث.

- الصفدي، ص. ا. خ. ب. أ. (2009). أعيان العصر وأعوان النصر (عمرو محمد عبد الحميد، تحقيق). دار الكتب العلمية.

- القاسمي، م. ج. ا. (1978). محاسن التأويل (محمد فؤاد عبد الباقي، تحقيق). دار الفكر.

- النيسابوري. (1962). غرائب القرآن ورغائب الفرقان (إبراهيم عطوه عوف، تحقيق). مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

- أبو حيان، م. ب. ي. ا. (1993). تفسير البحر المحيط (عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معرض، تحقيق). دار الكتب العلمية.

- ابن قتيبة، (1973). تأويل مشكل القرآن (السيد أحمد صقر، تحقيق). مكتبة دار التراث.

- سليماني، م. ع. (2018، أبريل 19). الخطاب المقدماتي في البحر المحيط، تأسيس لآليات تحليل الخطاب القرآني [محاضرة]. جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال.